مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 736 - 754

تاريخ الإرسال: 2024/03/07 تاريخ القبول: 2024/05/01
تاريخ النشر: 2024/05/16

جدلية التراث والحداثة عند عبد السلام المسدي

An Examination of the Arabic Linguistic Thought through Linguistic Paradigms: Reading into Al-Masdi's Writings

حسين مهني[1] ؛ محمد مدور[2]
جامعة غرداية (الجزائر)، mehenni.housseyne@univ-ghardaia.dz
جامعة غرداية (الجزائر)، Meddour.medj@gmail.com

الملخص:

نروم من خلال هذا البحث الوقوف على جهود عبد السلام المسدي النحوية واللسانية، وذلك من خلال كتاباته (العربية والإعراب أنموذجا)، باعتبار أن له توجها ونظرة خاصة للتراث، باعتباره منتميا للتيار الوسطي الذي ينادي بتلاقح العلوم، فهو متمسك بالتراث منتصر له إذ نلاحظ هذا من خلال محاولاته الجادة في بعث التراث، من خلال ما يصطلح عليه بنقد وإحياء التراث، وكما عمل ونادى بالاستفادة من العلوم الغربية لدراسة اللغة ونقصد هنا باللسانيات ولكن من خلال منهج العلم لا بنتائجه، أما في نظره فنتائج العلوم تتقاطع لا محالة ولكن المرجعيات تختلف قطعا، عن طريق الأخذ بالعلم منهجا وتطبيقه على العربية مع المحافظة على خصوصيتها، واستطاع بهذا الجهد أن يؤصل للكثير من القضايا النحوية واللسانية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات؛ اللسانيات العربية؛ الإبستمولوجيا؛ التلقي؛ النحو

Abstract:

In this article, we address the significant contributions of Al-Salam Al-Masdi in the field of Arabic linguistics and grammar

through his pioneering work "Arabic and Syntax." Our aims is to explore his distinctive approach towards preserving and reviving heritage on one hand, and his notable efforts in what is known as heritage criticism on the other hand. Moreover, we shed light on his call to utilize linguistics as a valuable tool for language analysis, emphasizing the adoption of a scientific methodology rather than its outcomes. This can be attributed, firstly, to his belief that sciences intersect, but their backgrounds diverge, and secondly, to the importance of integrating science methodically and applying it to Arabic while preserving its uniqueness.

Keywords: syntaxes; receive; epistemology; Arabic linguistics

---

المؤلف المرسل: حسين مهني، MEHENNI.HOUSSEYNE@UNIV-GHARDAIA.DZ

1.مقدمة:

خلق من بعد خلق والشي الثابت مع الإنسان في هذا الكون هو اللغة، حيث كانت ولازالت تفرض عليه هيمنتها وجبروتها فلم يكن له منها إلا أن يكون متكلما بها، وهذا ما جعل سائر الأمم تهتم بلغاتها مع تفاوت في الاهتمام وهذا الأخير راجع لخصوصية اللغة في حد ذاتها وتحديدا خصوصية كل أمة من الأمم، وإنّ تطور اللغات مرتبط بتطور الأقوام التي تنطق بها، فاللغة والتطور عنصران مترابطان، وهما سمة المجتمعات منذ أقدم العصور، فالوجود البشري ملتحم باللغة، هذه الظاهرة الإنسانية الاجتماعية التي تلازم الكائن البشري، وترافق الحضارات في أطوارها التاريخية المتلاحقة فيصيبها ناموس التغيير الحتمي الذي لا مناص منه فتصبح أداة للتعبير، بالإيحاء واللفظ والرمز، عن حياة المجتمعات الحسية والعقلية، ومعيارا لرقيها وانحطاطها في ميدان الثقافة والعلم والحضارة.

وهو الحال نفسه عند العربي فلقد اهتم بلغته وجعلها مصدر فخر له، فأولاها عناية خاصة، وزادت حظوة هذه العناية بارتباط العربية بالدين، فنالت الشرف والتقدير، ودأب النحاة يجمعون اللغة ويقعدون لها تحت علم اصطلح عليه بعلم النحو ، وبين ذلك الزمان وهذا الزمان كان الكائن اللغوي في تطور مستمر فأعيد النظر في مفهوم النحو من قبل الدارسين المحدثين ومن بين هؤلاء عبد السلام المسدي فلقد كان له رأي ووجهة نظر في النحو قديما ونظر في نظر الدارسين حديثا وعلاقة العربية بالإعراب.

ومن خلال ما تم طرحه نحاول بسط القول في الموضوع من خلال إشكالية نسوغها كالتالي ما مفهوم النحو والإعراب وعلاقته بالعربية واللسانيات، أهي علاقة محايثة أم علاقة مفارقة؟

وما رأي المسدي حول مفهوم النحو قديما وحديثا؟.

.بين النحو و باللسانيات

1.2 تعريف النحو:

أما النحو العربي فقد عرف حظه من النظر والاهتمام والدراسة، عندما بدأ يستفحل البحث في العلل ومراتبها، فاكتملت أركان هذا العلم و أبينت معالمه ووضعت أسسه، حتى اعتبر معقولا من منقول[1]، ومنطقا مسلوخا من اللغة العربية[2]، وقياسا يتبع[3]، وعلما بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب[4]، وعلما مبتدعا وقياسا مخترعا[5]، وإنتاج علمي ينظر له أصحابه في ألفاظ لغة العرب من جهة استعمالهم[6]، بل عد النحو من جملة العلوم النظرية المستحدثة[7].

فلم يعد النحو رهين المتكلم والسليقة، فقد انتقل النحو من اللسان إلى النظر حيث أصبح موضع دراسة واشتغال، ومن الطريقة إلى والبيان إلى القاعدة وهذا كان إيذانا بالتأسيس للأحكام النحوية.

2.2 تعريف الإعراب:

تبات آراء النحاة قديما في تعريف علم النحو ، فذهب بعضهم إلى عرف الإعراب ومنهم من عرف المعرب، وتعدد تعاريف العلماء وهي عديدة، ولكن سنكتفي بالتعاريف التي وصفت الظاهرة وصفا مجملا ودقيقا مما قاله القدامى ولا معاصرون.[8]

1. يقول ابن هشام: في كلامه عن ظاهرة الإعراب "أثر الظاهرة أو المقدر الذي تجلبه العاوامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع"[9]. وأردف محققوا كتابه –شذور الذهب– بعد قوله: "الفعل المضارع" قولهم: " الذي لم تتصل به نون التوكيد ولا نون النسوة"[10]
2. أما بخصوص تعريف الدكتور عباس حسن: "أنه تغيير العلامة الإعرابية التي تقع في آخر اللفظ وذلك نتيجة تغيير في أحد العوامل الداخلة عليه وما يفرضه كل عامل"[11].
3. ولقد عرفه الشيخ مصطفى الغلاييني: "هو أثر بإحدث العامل في آخر الكلمة فقد يكون في آخرها رفع أو نصب أو جر أو جزم، بحسب ما يفرضه ذلك العامل"[12].

فالإعراب كما ورد في التعاريف هو تغيير يحدث في آخر الكلم ينتج عنه تغيير في المعنى.

3.علم اللسانيات:

والمتتبع للحركة اللغوية العالمية سيجد أن هذا العلم (اللسانيات)قد كان له الأثر الجليل في رفع مصاف البحث اللغوي والنهوض به وتحريره من القيود التي كانت تفرض عليه خناقا الذي كان معيقا لتطوره.

أ–علم اللسانيات من العلوم الإنسانية الحديثة، وهذا لإحداثه قطيعة إبستمولوجية مع العلوم اللغوية التقليدية في الغرب و عند العرب أيضا من جهتين.[13]

–**أولاهما:** انتقل من دراسة الظاهرة اللغوية والتقعيد لها، إلى النظر في الآليات تولد بنيات اللغة والقواعد المنتجة، فانتقلت جهود البحث اللساني في هذه الفترة من النظر في صلب اللغة في حد ذاتها ثم بعد ذلك استقر البحث اللساني في نحو اللغة.

–**ثانيا:** انتقل من البحث بلغة معينة من اللغات الإنسانية إلى البحث بما هو أوسع أي بنظرية اللغة عامة ويكون هذا بغض الطرف عن الأجناس والأنواع والأنماط.

–**ب** وبالحديث عن المدارس اللسانية المعاصرة التي تنضوي تحت كنف اللسانيات فهي كثيرة متفرعة، وهذا التشعب راجع في الأساس إلى اختلاف المرجعيات الفلسفية و الفكرية والمعرفية المعتمدة من كل مدرسة، حيث أن البحث اللساني قد بدأ مع العالم اللغوي دوسوسير بوصفه حامل لواء التجديد اللغوي ومحقق القطيعة مع أغلب المناهج العلمية الغوية التقليدية التي أدخلت في دراسة اللغة اعتبارات عرقية واجتماعية وتاريخية...و لقد فرض سوسير منهجا وصفيا يتصف بالصارمة حيث اعتمد على ثنائيات سوسير (الدال والمدلول...) و اعتبر أن البنية اللغوية هي بنية مغلقة أي أنا لا تتأثر بالعوامل الخارجة عن نظامها، ولا تسيطر عليها العوامل الاجتماعية غير المندرجة في النظام اللغوي اللغوية.

هل تعني اللسانيات ما يعنيه علم اللغة الحديث:

إذا أردنا بسط القول عن هذا العلم الفتي فلا يمكن إنكار حقيقة أن مصطلح اللسانيات أو الألسنية أو علم اللغة الحديث كما يحلو للبعض تسميته مصطلح حديث لا تتجاوز نشأته السبعينيات من القرن الماضي، مستل من أدبيات الشعوب الغربية لدراستها اللغات الطبيعية وهذه دراسة تكون علمية و دقيقة جعلت من اللغة موضع الدراسة ونظرت إليها على أنها بنية مغلقة بمعزل عن عالمها الخارجي، "ومن

هذا المنطلق تعتبر اللسانيات العامة والتي ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر، المنعرج الحاسم في الدراسات اللغوية بعدما كانت الدراسات التاريخية والمقارنة سائدة ومحور الدراسة وكانت الدراسات إما تاريخية أو مقارنة."[14] أي أن اللسانيات كانت السبب الرئيسي في ظهورها وميلادها هو التخلص من القيود التي كانت تحجر على البحث اللغوي.

وقد بدأت تظهر سطوة هذا العلم حيث "ما انفكت اللسانيات منذ بداية القرن العشرين تتطور، فلقد وضع سوسير مفاهيمها التأسيسية بعدما أنجز النقلة العلمية المعرفية بإعادة النظر في معيار سلامة النهج الذي كان يحصر البحث اللغوي ضمن محيط التطور التاريخي، وصياغها في ما عرف من بعد في جملة من بالثنائيات"[15]

وقد أصبح هذا العلم مستعارا في سائر الثقافات الكونية اليوم، وبفضله تحولت اللسانيات إلى نموذج قارب مصاف الكمال تحاول جل العلوم والمعارف الإنسانية إلى الاقتداء به[16]، وهذا ما أبان عنه الفيلسوف الإناسي " كلود ليفي ستروس"، حين نشر مصنفه "الإناسة البنيوية" سنة 1958[17]، مشيرا في كلامه إلى أن علم اللسانيات بفضل توجهها المعرفي و العلمي الصارم والدقيق ستصبح جسرا تعبره كل العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى[18]

والمتتبع للدرس اللغوي العربي الحديث يلاحظ أن مصطلح علم اللسانيات (الألسنية) في العالم العربي، على ما فيه من تشعب وتشتت وتعدد المشارب، إلا أنه أصبح وبكل جدارة علامة من علامات التحديث والتجديد في مناهج ونظريات الدرس اللغوي والأسلوبي والبلاغي، والذي تجاوز بدوره الطرق التقليدية المعتمدة في مقاربة الظاهرة اللغوية حيث أن علم ا اللسانيات طورت أدوات المنهج الخاص بها وحددت وظيفتها ومجالها بدقة.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح علم اللسانيات قد لا يعني بالضرورة ما تعنيه اليوم علوم اللغة العربية بالمعنى الدقيق، لعدة أسباب نلخصها في ما يلي[19]:

- تعتبر اللسانيات الدراسة العلمية المنهجية للظواهر اللغوية الإنسانية عامة، أما بخصوص العلوم اللغوية العربية فتعتبر دراسة تحاول الخوض في الجوانب الخاصة من العربية وخاصة من المنظور البلاغي و النحوي و الصرفي...
- و باعتبار أن علم اللسانيات علم حديث نشأ في الغرب على بقايا العلوم اللغوية القديمة وفقه اللغة المقارن والنحو الذي يتخذ المنطق الأرسطي قاعدة ينطلق منها... بعد أحداث القطيعة المعرفية و المنهجية مع الماضي الذي يخص الدراسات اللغوية الكلاسيكية.
- وتعتبر الدراسات اللسانية المعاصرة فرعا من فروع العلوم الإنسانية هذا لأنها تسلط الضوء بدراسة أحد الظواهر الإنسانية ألا وهي الظاهرة اللغوية، وتعتمد في رصد موضوعها على منطق النمذجة أي صياغة النماذج اللسانية التي تفترض الآليات التي تشتغل بها اللغات

أما بخصوص علوم اللغة العربية فهي تكاد تكون محصورة فقط في دراسة العربية وحدها فقط، واستنباط القواعد وتبيان أنساقها، وتعددت تآليف العلماء للمصادر المتنوعة في دراسة المعاجم للغة العربية من نحوها والإعراب و علم الصرف وعلم الأصوات و علوم البلاغة...وهذا ما خلوها بلوغ درجة عالية من الدقة والعلمية في المنهج والدقة في النظر والتحليل في البحث العلمي وهذا ما جعل اللغة العربية اليوم تملك القابلية لأن تتربع في مصاف اللغات البشرية العالمية اليوم وأن توضع في مقارنات كثيرة بالنسبة إلى النظريات اللسانية المعاصرة.

وفي سياق الكلام عن الفروق القائمة بين الأبحاث الدرس اللساني المعاصر و اللغوية العربية القديمة يلاحظ أن الدراسات اللسانيات المعاصرة أتيحت في هذا

الزمان لها الانتفاع من السباق المعرفي العلمي الغزير، فالتطور الحاصل اليوم في مختلف العلوم التقنية والذكاء الاصطناعي وتنوع الأدوات وسرعة معالجة البيانات حيث حاولت الاستفادة من العلوم الدقيقة والمعارف الإنسانية والعلوم الإعلامية والحاسوبية ، وهذا الأمر لم يتح بالقدر نفسه للعلوم اللغوية العربية قديما.

وعلى هذا " عندما دأب النحاة في دراسة اللغة العربية كان الهدف المتوخى من وراء هذا العمل هو الحفاظ عليها من اللحن، في حين أن اللسانيات المعاصرة، فقد سعت إلى إيجاد وإنتاج نحو كلي عالمي بإمكانه وصف وتفسير الخصائص اللغوية البشرية الطبيعية بصورة أشمل وأعم." [20] فالفرق الجوهري هنا يختلف في أسباب ظهور العلمين وغايتهما.

علاقة النحو باللسانيات عند الدارسين العرب:

اعتبرت النهضة في الشرق العربي الحديث بمثابة عصر الأنوار في الوطن العربي، وهذا بسبب ما نتج عنها من تغيير جذري في مختلف المعارف الإنسانية فهي تعتبر محور التواصل والربط الثقافي بين الشرق والغرب، حيث ساهمت هذه النهضة في تخليص العلوم الإنسانية العربية من تعقيد التأويلات الخارجة عن نطاق العلم، والتي أثقلت كاهل المتعلم سنين طويلة، وأشكلت عليه فهم تراثه، وهذا ينطبق على الدراسات اللغوية التراثية، حيث ساهم توظيف اللسانيات في تقويم مسار النحو العربي قديما وحديثا وتلخصت هذه المحاولات في

1- إعادة قراءة التراث بمنظور لساني معاصر
2- دمج المنهج النحوي القديم وأدواته مع إجراءات المنهج اللساني
3- محاولة توظيف مستويات التحليل اللساني على اللغة العربية (الصرفي والنحوي والدلالي والتركيبي والصوتي والمعجمي)[21]، فهذه المحاولات الأولى لتطبيق المنهج اللساني على اللغة العربي. "وكان هذا النوع من الدراسات

حافزا لتنبيه العديد من الدراسين الذين عكفوا إلى محفوظاتهم المنظومة لاستظهار جل المقولات التراثية كلما دخلوا في نقاشة أي قضية نحوية، وخيل إليهم أن عصر الاجتهاد قد ولى وانتهى، وأن الألفية لابن مالك هي علامة القف أو علامة منذرة عدم تجاوز"[22]

والمتأمل في الساحة العلمية يلاحظ وجود تضارب في الآراء حول صفة العلاقة الدائرة بين النحو العربي القديم، واللسانيات المعاصرة في الآونة الأخيرة، حيث اعتبر النحو العربي مصدرا من مصادر الأصالة التراثية ،في حين أن اللسانيات فاعتبرت على أنها منبع الحداثة والمعاصرة، وفي ظل هذا التضارب البائن ظهرت في الساحة العلمية ثنائية اصطلح عليها بثنائية (الموروث والحداثة) في مجال اللغة وأسال هذا الموضوع الكثير من الحبر وألهم الباحثين واسودت الصحف به فأصبح موضوع علاقة التراث اللغوي العربي باللسانيات المادة الدسمة لكثير من اللغويين المحدثين .و **عبد السلام المسدي** كان من بين هؤلاء الدارسين حيث قدم دراسة في جوهر اللغة العربية "الإعراب" في ضوء التقدم اللساني الحديث فيقول ": النحو واللسانيات يقفان على مصادرتين لا تتماهيان ولا تترافضان، فليس الإقرار بإحداهما بمقتضى إلغاء الأخرى، وبناء على ذلك تيسر تناول اللغة بدرسها من خلال المنظورين سواء بالتعاقب أو بالتواقت[23]. "

وأن علوم اللغة العربية قديما ظهرت على يد أئمتها الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه مستنبطة من الواقع المعاش في ذلك الوقت الذي هو عبارة عن منظومة فكرية متكاملة، والمتأمل في العلوم اللغوية العربية واللسانيات وبالرجوع إلى فلسفة العلوم يمكننا أن نحصل على إجابة للسؤال التالي: " هل يكفي (أو هل بالضروري) لقيام مناقشة فلسفية الرجوع إلى نفس موارد التفاهم المتبادل الموجود في العالم المعيش؟ بمعنى آخر العودة إلى يقينيات لا يمكن أن توضع موضع شك؟.

"إن المتأمل في منطوق هذا التساؤل يوصلنا إلى طرح إشكالية في غاية الأهمية سايرت الفكر الإنساني منذ دروب سيرورته الأولى وهي العلاقة بين الفكر، ومن ثم العقل، بأطره النظرية الكبرى وطموحه إلى بلوغ المطلق، وبين الواقع بمستوياته المتعددة: الطبيعية والاجتماعية، والتاريخية، وبإرهاصاته التي تجعل من الإيمان بالنسبوية أمرا محتوما عند مقاربته".[24]، وبنظرة فاحصة على ما تدرسه اللسانيات نرى أنه أعتيد السؤال عن اللغة والكلام، وما يتبعهما من مقولات، لكنه لم يعتد سؤالها عن إنسانيتها، صراحة ربما اكتفاء بوروده ضمنا، أو مجاراة مع السائد في أنه ليس من شأنها البحث عنه، أي الإنسان الموجد للغة فاللغات هي صناعة بشرية وهي جزء منه، بل قد تكون إثارته في حضرتها ضربا من إساءة فهمها "وإثقالها بمسؤولية ليست على لائحة مشاغلها، على الرغم من أن الواقع لا يتصور اللغة من غير إنسانيتها. لكن إذا سكتت اللسانيات عن ذكره علانية، لأسباب متعددة فهذا لا يعني أنه غير موجود وإذا كان موجودا، وهو كذلك وهنا يطرح السؤال هل مهمة العلوم اللغوية، دراسة خصائص الإنسان المتكلم باللغة، أم هي مهمتها دراسة اللغة بمعزل عن طبيعة المتكلم بها؟"[25]، حيث أن النحو العربي لم يعد وحيدا في السوق اللغوية، بل أصبحت الدراسات اللسانية المعاصرة تهدد كيانه فالبقاء للأصلح، وكان لهذه الرجة اللسانية نتائج إيجابية، حيث ظهرت دراسات متعددة لا نقول إنها متعارضة، بل هي في نظرنا متكاملة لمن يدرسها دون تعصب لهذا الرأي أو ذاك، والملاحظ لواقع البحث اللساني العربي المعاصر بتصوره العام يلاحظ أنه منقسم إلى ثلاث اتجاهات من الدارسين والباحثين[26] :

أولا: ويمثل هذا الفريق التوجه التراثي المتمسك بالنحو العربي تفصيلا ودراسة، تحت مسمى الانتصار للتراث، ويرى هذا التيار أن النحو العربي هو الأجدر والأحق بالدراسة والانتصار له، ويرى هذا الفريق أيضا أن الدرس اللساني دخيل على ثقافتنا

العربية ولا يصلح لها، حيث حاول هذا التيار الانطلاق في الدراسة من النحو العربي أي من المونة التراثية والتركة العلمية التي تخص أئمة اللغة الأوائل، والانتهاء عند النحو العربي أيضا، ولكن بصيغة ونظرة جديدة مبتعدين عن أي معطيات لسانية حديثة.

ثانيا: وذهب فريق آخر إلى تمجيد اللسانيات الحديثة والانتصار لها، متأثرين بتياراتها الحديثة ومدارسها المعاصرة، تحت مسمى الانفتاح والتجديد، وهم في الأصل قد اختصوا في الموروث النحوي، وبمجرد دخول اللسانيات انكبوا عنها دراسة وتطبيقا، وقدموا أنفسهم للعامة بوصهم لسانيين.

ثالثا: انطلق هذا الفريق من فكرة مفادها أن العلوم الإنسانية هي علوم تراكمية، وأن كل موروث تراثي هو صحيح ما لم يثبت العكس، وأن كل نظرية لسانية جديدة هي خاطئة ما لم تثبت العكس، فسلك هذا الفريق مذهب الوسطية، حيث عكف على دراسة الدرس اللغوي العربي القديم محاولا تنقيحه والتجديد فيه مستفيدا من النظريات والمدارس اللسانية المعاصرة (اللسانيات البنيوية الوصفية، واللسانيات التوليدية التحويلية، واللسانيات التداولية...إلخ). وحاول هذا الفريق تقديم صورة مشتركة للبحث اللغوي النحوي والبحث اللساني، معتبرين أن مناهج الدراسات اللغوية تلتقي في الكثير من النقاط باعتبار أن اللغات البشرية أيضا تشترك في بعض النقاط,.

ويرى أحمد محمود نحلة أن الدارسين اللغويين إلى ينقسمون إلى ثلاثة اتجاهات:[27]

1_ الاتجاه النحوي التقليدي أو القديم عند النحاة الأوائل ومن سلك طريقهم من الدارسين المحدثين.

2_ وتوجه يحاول ربط الدرس النحوي العربي القديم بالاتجاهات البحثية اللغوية المعاصرة في أمريكا و أوروبا في محاولة البحث عن المنهج الجديد الذي يعيد

صياغة النحو العربي قديما على أساس أكثر علمية و إستزادة في البحث عن القدر الذي تشترك به مختلف اللغات الإنسانية.

3_ أما هذا الاتجاه فيحاول إعادة قراءة التراث البلاغي والنحوي العربي القديم في ضوء النتائج المتوخات من الدراسات اللغوية اللسانية المعاصرة.

فكان هدفه الرئيسي هو إقامة محاورة بين التفكيرين الأصيل والحديث، وذلك من خلال تتبع القضايا الحديثة في علم الألسنية خصوصا ، ومحاولا اسقاط وتقريب هذه المفاهيم على جهود علماء العرب القدامى بغية الوصول إلى الحقيقة التي مفادها أن التراث النحوي العربي القديم في مجال اللسانيات مليء بكثير من المفاهيم التي سبقوا فيها الغربيين بشكل واضح ومنهجي، وهذا ما نلفيه عند الباحث اللغوي **عبد السلام المسدي** في ضوء كتابه(العربية والإعراب.) ففي هذا الكتاب يتناول مسائل كثيرة أصل لها في التراث اللغوي العربي، وهذه المسائل تتعلق بالنحو العربي والنحو التوليدي والنظرية التوليدية واللغات الاشتقاقية، والإعراب وإنتاج الدلالة والفرق بين اللغات الإعرابية واللغات غير الإعرابية،

ودور المدرسة في اكتساب اللغة الفصيحة العربية...الخ.

1.3 منهج المسدي في التأصيل للتراث:

كل محاولة لقراءة التراث دون الرجوع الى منهجه تعتبر قراءة ناقصة أو مجحفة إن صح التعبير ف "قراءة التراث منجها يعوزه التأسيس المعرفي في حد ذاته ... و تعتبر إعادة قراءة التراث تفكيكا لرسالته المتوارثة عبر الزمن، وهي بذلك إثبات لديمومته ووجوده، ولكن إثبات الديمومة لا يقف عند تمجيد الماضي فحسب، إذ يحتاج إلى بناء مؤسس يناسب الحاضر والمستقبل لدفع البحث اللساني العربي منهجا ونظريا"[28]

لقد حاول عبد السلام المسدي إعطاء رؤية واضحة لواقع البحث اللساني في الوطن العربي الحديث، وأدرك بأنه بحاجة إلى تصحيح مساره ويكون هذا التصحيح بانفتاح الدارسين على عطاءات الدرس الغربي في مختلف اتجاهاته اللسانية فكما نعرف أن اللسانيات هي مجموعة من المدراس والنظريات التي تكمل بعضها بعضا، دون الغفلة عن المنجز من التراث العربي الذي يعتبر تركة علمية حضارية تحتاج إلى إعادة قراءة ليكون قاعدة انطلاق في بناء نظرية لسانية عربية معاصرة "والذي زاد بعض اللسانين المعاصرين تشبثا بمنهج المعاودة إنما يقينهم وحجتهم الجازمة بأن محالة إبتعاث التراث وإحيائه عن طريق النظريات اللسانية الحديثة والتصورات الإجرائية في أغلب الأحيان ما يصحب هذا إخصاب للمعرفة اللغوية المعاصرة نفسها عن طريق إعادة إحياء مخزون التراث الأصيل، وذلك كلما وجد القارئ المقتدر على تحقيق التوازن في المعادلة الصعبة بين الحداثة والتراث"[29]

لقد أصبحت عملية القراءة المجردة، أو كما يطلق عليها إعادة قراءة التراث اللغوي العربي في نظر عبد السلام المسدي موقفا حضاريا يتلخص غرضه في:[30]

- إحياء التراث اللغوي العربي والكشف عن معالم نبوعه ووجاهته.
- الرغبة في مواكبة مقتضيات الحداثة.
- تأسيس لحاضر مستقبلي ذي أصول حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللغوي العربي العريق.

ومع هذا لا يزال أمام الدارسين العرب شوط كبير لأن معالم النظرية اللسانية العربية لم تكمل بعد، وهناك من يرى بأنه لم يصل الرقى في بحوثنا إلى درجة القول بأن هناك نظرية لسانية عربية، فالكتابات عن اللسانيات هي كثيرة، أما الكتابات اللسانية فهي على ما قد يبدو أن الساحة أغرقت بها لكن في الحقيقة هي شحيحة.

1.4 اللسانيات والمشروع المعرفي.

لطالما كان المعنى ولا يزال من أكثر الأشياء غموضا و إبهاما، وهذا ما جعل منه مادة بحث عند الدارسين على مر العصور وتعاقب الأزمنة، حتى الإنسان العادي نجده دائم التأمل والتفكير بغية الوصول إلى معاني الأشياء وكنهها، وهذا ما للمعنى في حياة الإنسان من الأهمية ما لا يدركه الناس عادة إلا متى تسلحوا بمعرفة خاصة ولذلك ركز المسدي على أهميته في هذا المجال، وتبيان الطرق التي يسلكها الإنسان لاستقباله "وعلى السبل التي ينتهجها في إدراك عناصر المعنى، ثم على الأدوات التي يتوسل بها في تأويل مقاصد المعنى، وتتركز أخيرا على المسالك التي يتوخاها، لتقديم ثمرة استفادته من المعنى، ولكل تلك المظاهر أهمية بالغة في انتظام حياة الإنسان، بل وفي استواء بنية المجتمع كافة"[31] فقوام المجتمع هو في فهم الناس بعضهم لبعض.

"وباعتبار أن اللسان بوصفه مؤسسة لغوية فهو ليس تابعا لأي قرارات فردية أو جماعية، وإنما هو وليد مؤسسة اجتماعية لا يمكن تحديد بدايتها، ويستحيل تنبأ نهايتها"[32]

والمتمعن لمعاني هذا النص يجد أن المجتمع له حضارته وأفكاره غير المحدودة وسلطته على القرار الفردي والجماعي، لذلك كانت السيميائيات في رأيه ليست علما للعلامات ولكنها دراسة للتمفصلات الممكنة للمعنى، فليس هناك باب للمعرفة

ولقد نادى المسدي "باستعمال عقولنا دائما ولنعرض عن قوم يريدون إيهامنا بأن عقولنا أعداء واجباتنا ودينا خصوصا من الناحية الأدبية التي اقتنع العالم العربي بحاجته لتجديدها وترميم واجهتها الكبيرة"[33] ، وبذلك أضحت اللسانيات بحاجة ماسة إلى استثمار المسالك العقلية في إنتاج الدلالة وتداولها "من نتائج الفلسفة العامة والمعاصرة ثم نتائج علوم النفس السريرية المتمحورة على ما يعرف قضية أو مسألة (الإدراك)، ثم مازجت هذا بل ما طلعت عليه من الفتوحات العلمية وال

معرفية جليلة أنجزتها العلوم الحاسوبية، فنتج عن هذا المشروع الفكري الذي تحمل بوادره اللسانيات المعاصرة والذي اصطلح عليه باللسانيات العر فانية الإدراكية[34]

2.2 منهج المسدي في دراسة التراث

ينطلق المسدي في دراسته للتراث اللغوي العربي واللسانيات من وبعد نظري يرى أنه من أجل تحقيق الدراية الكافية لما أنجزته المعارف اللغوية في لحظتها التاريخية القديمة، فوجب أن تكون دراسة هذه المعرفة متسمة بشمول وإحاطة بها حيث لا تقف عند الذين صنفتهم كتب الطبقات و التراجم تحت مصطلح<النحاة> و <اللغويين>. ومع مراعاة أهمية الجهود المبذولة من طرفهم وتبيان وقيمتها، إلا أن هناك تأملات ومعالجات تأخذ قدرا كبيرا من الأصالة و العمق وحسن التمثل لمختلف الثقافات الوافدة لدى بيئات فكرية أخرى كالأصوليين والمتكلمين والفلاسفة والمفسرين وغيرهم ممن كان له الأثر، ويرى المسدي بأن محاولة الإحاطة بالجهود التي بذلها هؤلاء تعطي صورة متكاملة و دقيقة عن الفكر اللغوي العربي القديم.

1.3النحو وفلسفة اللغة:

لقد أدرك **المسدي** بأن اللسانيات هي وليدة فقه اللغة، ولقد انبثقت من أعماق التفكير اللغوي القديم وبالتالي فهي تستمد وجودها من الأسس المنهجية التي تصل العلم بلغة الإنسان، وما تجدر الإشارة إليه هو أن المسدي ليس مع الاعتبارات السائدة للسانيات، على أنها بديل شامل للمعرفة اللغوية السائدة، وما يريد الوصول إليه هو أن " اللسانيات الحديثة أقيمت على تركة فقه اللغة، فإنها لا تلغي بالضرورة الإقرار بجود العلوم اللغوية كما وصلتنا على شاكلتها ولا تلغي المعرفة النحوية العربية هذا لأن المشروع الذي تتبناه قد خالف بوجه من الأوجه مشاريع العلوم الأخرى التي تولدت في التاريخ الفكري الإنساني، والتي أقيمت على أنقاض المعارف التي شاخت واهترأت معماريتها إلى أن بليت، فتعين تجددها، وجاء اللاحق منها نافيا للسابق،

وهذا التطور القائم على الإلغاء، قد عرفته نظريات الفلسفة كما عرفه تاريخ الفيزياء والكيمياء والرياضيات"[35]، ودليله أن علم اللغة (اللسانيات) في انبثاقها من فقه اللغة لا يمكن أن تكون مكررا ناسخا للمعارف اللغوية السائدة، بما فيها النحوية، وهي " لا تلغي علة وجود المعرفة النحوية التي هي معرفة تؤسس علما باللغة يستنبط المعيار ويجعل الاستعمال محتكما إليه...فكل من تعذر عليه أن يعيد طرح السؤال الإبستيمي حول مشروعية المعرفة اللسانية تعذر عليه أن يعيد تأسيس البناء العلمي الخارج عن حدود الدائرة الشمل ألا وهي دائرة العلوم اللغوية، الفلسفية والنحوية والفيلولوجية."[36]

ولا مراء أن اللسانيات جاءت امتدادا للمعارف اللغوية السالفة فقه اللغة هذا الأخير الذي ارتبط في التراث العربي ب"معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها على نحو ما جاء عند ابن فارس في كتابه(الصاحبي في فقه اللغة، وعند الثعالبي في كتابه(فقه اللغة وسر العربية) "[37] ولذلك فإن إمكانيات اللسانيات لا تكمن في إلغاء القضايا اللغوية التي سبقتها، وإنما إمكانياتها كامنة في التغيير وطرح القضايا والبرهنة عليها، وبذلك انبعث وعي جديد بأن تنشئ اللسانيات القطيعة المعرفية مع فقه اللغة المقارن على المستوى المنهجي، لتذهب بعيدا عن ذلك بفضل مرونتها وحركيتها إلى إقامة إبستيمية مع الفلسفة على أساس المنهج العلمي " فاللغة موجودة وتشهد على وضعية تاريخية قذف بها فيها، تحيط بنا وتتجاوزنا، هي بالنسبة للجميع الحاضر المباشر وإن كانت تاريخيا جد متقنة وبعيدة عن كل بداية ." [38] لكن ما يهمنا اللغة الموجودة في الحاضر التي تحيط بنا وهذه هي الغاية التي يتوق إليها عبد السلام المسدي.

خاتمة:

وختاما ومن خلال هذه الورقة البحثية وفي محاولة منا لرصد خلاصة عمل المسدي وجهوده، قد رأينا أن مشروع المسدي في هذا الكتاب وبقية أعماله هو نتاج مرحلة زمنية اصطدم فيها النحو العربي أو الدراسات اللغوية العربية القديمة أو

الموروث اللغوي العربي بهذا العلم الجديد (اللسانيات)، ووقع تصادم كبير واحتدم بين الدارسين وبين العلمين معركة بين الأصيل والدخيل بين الجديد والقديم بين الأصالة والمعاصرة، أسيلت الأقلام في هذا الموضوع وخطت الصحف، فهرت على الساحة العلمية العديد من المؤلفات، وانقسم الباحثون بين مؤيد ومعارض، وبين من وقف موقفا وسطا وهذا حال المسدي كما، فلقد حاول الانتصار للتراث اللغوي العربي دون انكار أو إجحاف لقيمة هذا الوافد العلمي الجديد، بل بالعكس نادى وعمل على الاستفادة من نظريات هذ العلم الجديد وتطبيقها على العربية مالم يخل بخصوصية اللغة العربية حاول المسدي إنصاف علماء العرب القدامى من خلال إبراز جهودهم في خدمة علوم اللغة بصفة عامة والنحو بصفة خاصة.

5.المراجع

[1] ابن الأنباري، نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص55.

[2] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، تحقيق علي سامر النشار، مطبع السعادة، مصر، ط1، ص195.

[3] انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، نشر مارجوليت، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأخيرة بمراجعة الوزارة المصرية، ج13، ص191.

[4]جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو: ضبط وتصحيح: د. أحمد سليم الحمصي و د. محمد أحمد قاسم، نشر جروس برس، نشر جروس برس، ط1، 1988، ص23.

[5] طاش كبرى زاد، مفتاح السعادة ومصباح السعادة، دار المعارف حيدر آباد، 1ط، 1328ه، ص138.

[6] السيوطي، الاقتراح، ص23.

[7] السيوطي، صون المنطق، ص130.

[8] خالد بلمصابيح، ظاهرة الإعراب وأهميتها في اللغة العربية، مجلة حوليات التراث، الجزائر ،مجلد6، العدد12، 2012، ص14.

[9] ابن هشام الأنصاري (جمال الدين)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، مكتبة الكليات الأزهرية، ميدان الأزهر، القاهرة، ص42.

[10] هامش التحقيق لشرح شذور الذهب، ج2، ص42.

[11] مصطفى الغلاييني، 1984، لبنان، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ص76.

[12] خليل أحمد عمايرة، 1990، الإمارات العربية المتحدة، في نحو اللغة وتراكيبها "منهج وتطبيق في الدلالة"، مؤسسة علوم القرآن، ط2، ص193.

[13] عبد الرحمان بودرع، في اللسانيات واللغة العربية قضايا ونماذج، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص16.

[14] فايزة حريزي، 2022، اللسانيات العامة واللسانيات التطبيقية دراسة في المفاهيم والمصطلحات، مجلة اللغة العربية، المجلد: 24، العدد3، ص17.

[15] عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص9.

[16] محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، منشورات الاختلاف، ط1، 2011.

[17] حافظ اسماعيل علوي وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة وأسئلة اللسانيات، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.

[18] خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية، دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2012.

[19] عبد الرحمان بودرع، في اللسانيات واللغة العربية، 2016، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص45.

[20] عبد الرحمان بودرع، في اللسانيات العربية، ص44.

[21] ينظر آفاق اللسانيات، ص392.

[22] آفاق اللسانيات، ص422.

[23] عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص5.

[24] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماز ضد هابرماز، 2005، الجزائر، منشورات الاختلاف، ص17.

[25] أنفال جاسم، 2020، الأردن، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستمولوجيا اللسانيات، درا كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص11.

[26] عبد الله الجهاد، 2016، النحو العربي واللسانيات تقاطع أم تواز، ص323_322.

[27] أحمد محمود نحلة، 1977، لبنان، مدخل إلى دراسات الجملة العربية، دار النهضة العربية، ص67، ومصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات، مطبعة فضالة، المغرب، 1997، ص78.

[28] عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص19.

[29] عبد السلام المسدي، حد اللغة في التراث اللساني العربي، مقال منشور في وقائع ندوة جهوية بعنوان: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، أبريل 1987، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1991، ص395.

[30] سعاد لعريبي، الجهود النحوية لعبد السلام المسدي في ضوء كتابه العربية والإعراب، ص5.

[31] عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص 12.

[32] –سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، سلسلة شرفان 11، منشورات الزمن، المغرب، 2003، ص 46.

[33] عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي، دار المغرب العربي، تونس، 2007، ص54.

[34] عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص13.

[35]المسدي، العربية والإعراب، ص18.

[36]المسدي، العربية والإعراب، ص19.

[37]المسدي العربية والإعراب، ص19.

[38]المسدي العربية والإعراب، ص21.